

الفصل الثاني

القرآن ومعجزاته وآياته

obeikandi.com

---



## القرآن معجزاته وآياته

القرآن كتاب المسلمين الإلهي الذي أنزل الله به جبريل على رسوله محمد منذ سنّ الأربعين بليلة القدر من شهر رمضان، وأخذ جبريل ينزل به منجماً أو مفرقاً حسب الأحداث والوقائع طوال ثلاثة وعشرين عاماً. ولم يرسله الله للعرب وحدهم، بل أرسله أيضاً لأهل الكتاب والوثنيين في العالم عامة، أما العرب فلنشر تعاليم الإسلام فيهم، وأما أهل الكتاب فلتصحيح عقيدتهم، وأما الوثنيون فللإيمان بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، ووضع لهم جميعاً الكون بسمائه وكواكبه وأرضه بزروعها ليتأملوا في نظامه وسننه ويتدبروا قوانينه الكونية، ويلفتهم إلى ما أودع فيه من الجمال والبهاء مما يغذى أرواحهم جميعاً غذاءً جمالياً باهراً.

وقد أودع الله القرآن ما يصلح به الفرد سلوكه من بر الوالدين والأقارب والأمانة والوفاء وأداء عبادة الله وفروضه الدينية وانتفاعه بنعمة العقل وإبطاله للخرافة والسحر والكهانة، وأخذ به جميع الفضائل. كما أودعه ما يصلح به حياة الجماعات الإنسانية من الحرية الدينية وما يرتبط بها من التسامح والأخذ بالشورى في الحكم والديمقراطية وبالإخاء الصادق وحقوق المرأة والمساواة التامة، والرحمة بالإنسان والحيوان، وحسن التكافل مع الأفراد والجماعة في السلم والحرب.

ومرت بنا في الفصل الماضي معجزات الرسل وجميعها معجزات حسية تُرى بالبصر، مثل عصا موسى ويده البيضاء ومثل طوفان نوح ونار إبراهيم وبرء عيسى للابصر والأعمى. والقرآن ليس معجزة حسية، وإنما هو آيات ومعجزات

معنوية من الكلم، وكأنما أراد الله - ولا راد لمشيئته - أن يكون إعجاز القرآن على لسان محمد إعجازاً عقلياً لا يدركه الحس وإنما يدركه العقل كما قال الله لرسوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ (١) من القرآن الكريم، والله بذلك يجعل سماع المشرك للقرآن حجة عليه، وهى حجة تتضمن إعجازه - ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ (٢) آى آيات حسية مثل آيات موسى وعيسى التى كانت تشاهد بالعين المبصرة ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ﴾ (٣) آى الحسية ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٤) أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ (٥) فأنبأ - جل شأنه - أن الكتاب وهو القرآن - تتلى عليهم آياته قائم مقام آيات الرسل السابقين الحسية، وهى آيات عقلية تؤثر فى العقل بأوسع مما تؤثر به الآيات الحسية، وكأنما أراد الله أن تكون آيات القرآن المعجزة، الشاهدة على صدق رسالته، عقلية حتى تخلد على مر الأزمنة إلى يوم القيامة، بينما كانت معجزات الرسل السابقين معجزات حسية انتهت بانتهاء عصورهم فلم يشاهدها إلا من حضروها . أما القرآن فأعجازه مستمر إلى يوم القيامة .

وتحدى الله العرب مرارا بأنهم لا يستطيعون أن يحاكوه أو يقلدوه، وكانوا يقولون للرسول إن ما تتلوه علينا من القرآن حديث مفترى، ودافع الله عنه فى سورة هود قائلاً: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيْنَ وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦) فإلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ (٧) والله - جل شأنه - يتحدى هؤلاء المنكرين إذ يطلب منهم أن

(١) سورة التوبة الآية ٦ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٥٠ .

(٣) سورة العنكبوت الآيتان ٥٠ ، ٥١ .

(٤) سورة هود الآيتان ١٣ ، ١٤ .

يصوغوا على مثاله عشر سور مفتراة، فإن لم يستطيعوا تبين بطلان افتراءهم، ثم تحداهم أن يستطيعوا صنع سورة واحدة مفتراة، وليدعوا مَنْ يظنون أنهم يستطيعون ذلك كما جاء فى سورة يونس، وباءوا بعجز واضح كما عجزوا إزاء آية سورة هود. ثم تحداهم - عز سلطانه - فى سورة البقرة أن يأتوا بسورة واحدة من مثله وأن يدعوا من يستطيع مساعدتهم فى ذلك وأنذرهم إنذارا شديدا قائلا:

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١)

وكان المشركون حريصين حرصا شديدا على معارضته، وبينهم شعراء مبدعون وخطباء بارعون، ولهم القصيد العجيب والرجز المصيب والخطب الطوال والقصار البليغة ولهم الأسجاع والمزدوج والمنثور، وهم من أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، غير أنهم عجزوا عجزا تاما عن أن يأتوا بكلام يماثله أو يشبهه، وسجل الله عجزهم قائلا:

﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٢)

(١) سورة البقرة الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٨ .

## أسماء القرآن

للقرآن أسماء متعددة فيه أوصلها بعض العلماء - كما جاء في كتاب الإتيان للسيوطي - إلى خمسة وخمسين اسما، وحين نقرؤها نجد حشداً فيها كل ما جاء في القرآن من صفاته مثل نور وهدى ورحمة وشفاء ومبارك وعلی وحكيم ومهيمن ومصداق وحبل وفصل ومثان وبيان وعلم وعجب وبشرى ومجيد وبشير ونذير إلى غير ذلك من صفات وصف الله بها القرآن، وليست أسماء، وأسماءه المكررة لا تتجاوز سبعة ألفاظ، وهي القرآن والفرقان والكتاب والوحي والتنزيل والذكر وكلام الله .

والقرآن اسمه الأشهر، وهو في الأصل مصدر من قرأ مثل غفران وشكران سَمَى الله به كتابه المنزل على رسوله وأصبح علما دالا عليه . وجاء في لفظه: قران بتسهيل همزته وتخفيفها بنقل حركة الهمزة إلى الراء الساكنة قبلها، وذهبت جماعة في نطقه "قران" إلى أنه من "قرن" فالنون فيه أصلية. وسمى قرآنا لأنه يقرن الآيات ويجمعها بعضها إلى بعض. ويرجح أن همزة قرآن أصلية أن جمهور القراء يقرءونه بهمزة أصلية كما في قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾<sup>(١)</sup> وقرأه ابن كثير وحده: (وقرأنا) بتخفيف الهمزة وتسهيلها على أنه مشتق من "قرن" والهمزة فيه غير أصلية، والقرآن أشهر أسمائه المتداولة بين الناس منذ نزوله.

والفرقان مصدر مثل القرآن، جعله الله اسما ثانيا للقرآن في قوله: ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾<sup>(٢)</sup> مِنْ قَبْلِ هُدَى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ<sup>(٣)</sup> وسمى به سورة من

(١) سورة الإسراء الآية ١٠٦ .

(٢) سورة آل عمران الآيتان ٣ ، ٤ .

سور القرآن افتتحها بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾<sup>(١)</sup> وهو فرقان لأنه فارق بين الحق الإلهي والباطل من عقائد الوثنيين والمشركين وبما يصور من توحيد الله وصفاته الربانية وتعاليم شريعته الإسلامية. والكتاب أصله اسم جنس يطلق على كل كتاب، وأل فيه للعهد أى الكتاب المعهود بينكم وهو القرآن القائل فيه ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾<sup>(٢)</sup> كما قال فيه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾<sup>(٣)</sup> وتعنى تسمية الله له بالكتاب معنيين أولهما أن أتباعه من المسلمين سيتناقلونه عن طريق كتابته فى مصاحف، وثانيهما أنه كتاب مثل كتابى التوراة والإنجيل يجمع تعاليم الشريعة الإسلامية، كما تجمعان شريعتى اليهود والمسيحية.

والوحى سماه الله به فى مثل: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾<sup>(٤)</sup> أى بما يوحى إلى من القرآن على لسان جبريل، وكأن الله سمّاه بصورة الأداء التى كان يتلقاه بها الرسول عن جبريل، وكلف بأن يؤديه إلى الناس أداء سليما بصيغته وجميع حروفه وحركاته. وتقديرا من الرسول لمسئوليته إزاء إيصاله إلى المسلمين إيصالا دقيقا رتب له كتابا كانوا يكتبونه بمجرد نزول آياته على الرسول لا ينقصون منها ولا يزيدون فيها حرفا .

والتنزيل سماه الله به فى القرآن مرارا كما فى قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾<sup>(٥)</sup> كتب فضلت آيئته قرءانا عربيا لىقوم يعلمون وهو تنزيل لأنه نزل

(١) سورة الفرقان الآية ١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢ .

(٣) سورة الكهف الآية ١ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٥ .

(٥) سورة فصلت الآيتان ٢ ، ٣ .

من السماء يحمله جبريل إلى رسول رب العالمين لينذر به الناس وينقذهم مما هم فيه من الضلال إلى هدى رب الوجود .

والذكر سماه الله به كما فى قوله : ﴿ وَإِنَّهُ دَلِّكُوكَ وَلِقَوْمَكَ ۗ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ۗ ﴾<sup>(٢)</sup> فهو ذكر للناس بما ينبغى عليهم من العقيدة الإسلامية السديدة، ويقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُوَلْحَافِظُونَ ۗ ﴾<sup>(٣)</sup> فالله لم ينزل القرآن فحسب، وإنما نزله على رسوله، وكتب له الخلود والحفظ على مدى العصور إلى يوم الدين.

واسم القرآن السابع المذكور فيه أنه كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويقول مخاطبا رسوله : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ۗ ﴾<sup>(٤)</sup> ويتدبره تدبرا دقيقا ويؤثر فى فكره ووجدانه تأثيرا يدفعه إلى الإيمان به وبرسوله.

ولما جمع أبو بكر القرآن بمشورة عمر، واجتمعت لديه سوره وصحفها قالوا ما الاسم الذى نختاره لصفحه مجموعة من أولها إلى آخرها قال قائل نسميه الإنجيل، فكرهوا ذلك حتى لا تختلط صفحه بصفه الإنجيل، وقال قائل نسميه السفر كما يسمى اليهود التوراة وكرهوا ذلك، وقالوا إن التوراة مسماة به فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ ۗ ﴾<sup>(٥)</sup> وهما اسمان من أسمائه، وقال ابن مسعود: رأيتهم فى الحبشة يسمون الكتاب المصحف، فاتفقوا على تسمية صفحه المكتوبة باسم المصحف . وشاع هذا الاسم لصفحه مجموعة.

(١) سورة الزخرف الآية ٤٤ .

(٢) سورة النحل الآية ٤٤ .

(٣) سورة الحجر الآية ٩ .

(٤) سورة التوبة الآية ٦ .

(٥) سورة البقرة الآية ٥٣ .

## سور القرآن

سُور: جمع سورة، وهى قطعة خاصة من القرآن لها بَدْء وخاتمة، وهى إما منقولة عن سور المدينة المحيط بجميع منازلها وأضيفت إليها التاء تأكيدا لعلميتها ودلالاتها عل ما تحيط به من آيات القرآن، وإما منقولة عن لفظة السُّور بالهمزة، وهو بقية الشراب فى الكوب. وخُفِّف السُّور فسَهِّلْت همزته ومُدَّت ضمة السين وأضيفت إليه التاء، فأصبح سورة. والرأى الأول أولى .

وسور القرآن مائة وأربع عشرة سورة، ومنها طوال وقصار ومتوسطة وأولها سورة الفاتحة وآخرها سورة الناس، وتطول حتى تبلغ مائتين وستا وثمانين آية كما فى سورة البقرة، وتقصر حتى تصبح ثلاث آيات كما فى سورة الكوثر. والطول والقصر فى السور إنما هو فى عدد الآيات لا عدد الكلمات والحروف. ونزلت أكثر السور بمكة التى ظل الرسول يدعو الناس فيها ثلاث عشرة سنة إلى دينه الحنيف وانتقل منها إلى المدينة، وظل القرآن ينزل عليه فيها طوال عشر سنوات إلى أن لَبَّى نداء ربه. وتمتزج فى بعض السور آيات مكية بأخرى مدنية. والسور المدنية أكثر طولاً من السور المكية، ولا تختلف عنها من حيث الطول فحسب، بل تختلف أيضاً من حيث الموضوعات التى تتناولها، فالسور المكية تدعو إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام والأوثان، كما تدعو إلى الإيمان بالكتب السماوية جميعاً وبالملائكة وبالبعث والحساب، فمن يعمل صالحاً فله الجنة فى المآب ومن يعمل شراً فله النار خالداً فيها. وفى أثناء ذلك تتوالى المواعظ وقصص الأمم الماضية للعبرة والحث على الأخلاق الكريمة والتأمل فى الكون تأملاً يفضى إلى الإيمان بالله ووحدانيته. بينما السور المدنية تتناول التشريع الدينى والاجتماعى بكل ما يتصل بنظام الأسرة من مثل بر الوالدين

والميراث والزواج وكل ما يتصل بالمجتمع وعلاقات الإخاء والمساواة فيه والزكاة وتحرير الرقيق وعلاقات البيع والشراء والرهن والدين، مع بيان الحلال والحرام وبعض العقوبات. وتكرّر فيها الدعوة إلى عبادة الله والإيمان باليوم الآخر والملائكة والنبیین وما صور الله من الثواب للمؤمنين به وما صور من العقاب الأليم لعصاته الأثمين .

وأسماء السور فى القرآن جميعا توقيفية، نصّ عليها الرسول سورة سورة وأيضا ترتيبها فى المصحف توقيفى، فكل ذلك أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم، واتبع أبو بكر وعثمان هذا الترتيب فى مصحفيهما بمنتهى الدقة. وجعلوا البسملة علامة الفصل بين السور فيما عدا سورة براءة فإنها لم توضع فى أولها بمصحف عثمان، وعن ابن عباس سألت عثمان: ما حملكم أن عمدتم إلى سورة الأنفال وإلى سورة براءة فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم، فقال عثمان: "كانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانا يتشابهان فى قصتهما فطننت أن براءة من الأنفال، وقُبض رسول الله ولم يبين لنا موقعها منها، من أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب فى سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتهما فى السور السبع الطوال". وصلى رسول الله يوما بسورة البقرة وتلاها بسورة آل عمران، وقال اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران وربما جمع بينهما لرعى المناسبة بين السورتين فى الافتتاح بكلمة "أل".

ولم يثبت الصحابة فى السور أسماءها بل كانوا يكتفون بإثبات البسملة بين السور، وكتبت أسماؤها باطراد فى عصر التابعين بالمصاحف، وكتبت بخط آخر لتتميز عن القرآن، أما البسملة فكانوا لا يميزون خطها عن خط القرآن .

وغالب السور القرآنية نزل مفرقا، ومما نزل مفرقا فى السور القصيرة سورة

اقرأ فقد نزل منها أولاً قوله تعالى: (اقرأ) إلى قوله: (ما لم يعلم) ومثلها سورة الضحى نزل منها أولاً: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝۱ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝۲ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝۳ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ۝۴ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ۝۵﴾<sup>(١)</sup>. ومن أمثلة ما نزل جمعاً دفعة واحدة سور الفاتحة والإخلاص والكوثر والبيّنة والنصر والعودتان والمرسلات وسورة الصف. ومنه في السور الطوال عن ابن عباس سورة الأنعام، وروى صاحب الإتيان ذلك عن ابن عمر، وقيل بل الصحيح أنها نزلت متتابعة متفرقة.

والسورة تشمل مجموعة من الآيات جمع آية، وأصل المعنى اللغوي لها العلامة كما جاء في سورة البقرة عن طالوت: (إن آية ملكه) أي علامته، واصطلح بها القرآن، على كل ما ألف من ألفاظه من جمل ولو تقديراً مثل آية (مدهامتان) في سورة الرحمن ومثلها فواتح السور من مثل: (والنجم - والضحى - والعصر) ومثلها بعض الحروف المقطعة المفتحة بها بعض السور، وهي: الم - المص - كهيعص - عسق - طسم - طه - يس - حم ، ولم يعدوا: الر - آلر - طس - ص - ق - نون آيات.

وأطول آيات القرآن آية الدّين في أواخر سورة البقرة، وأقصرها "مدهامتان" في سورة الرحمن كما أسلفنا ومثل "والنجم" مما أقسم الله به. وجمعت الآية في القرآن مراراً في مثل: ﴿كَيْتَبُ أَحْكَمَتْ عَائِنْتُهُ نَمَّ فَصَلَّتْ﴾<sup>(٢)</sup> ومثل: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾<sup>(٣)</sup>. وهي من اصطلاحات القرآن، فلا يجوز أن تسمى بها الجمل التامة والفقر في إصحاحات التوراة والإنجيل.

(١) سورة الضحى الآيات ١ ، ٥ .

(٢) سورة هود الآية ١ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٧ .

وتحديد مقادير الآيات من الجمل والألفاظ توقيفي، ولذلك قال الزمخشري:  
 الآيات علم توقيفي مأخوذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستقر ذلك في  
 مصحف أبي بكر ومصحف عثمان وعلى السنة حفظاً في عهد الرسول من مثل  
 عثمان وعلى وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وأبي الدرداء  
 وعبادة بن الصامت وأبي موسى الأشعري. وحفظ كثيرون من الصحابة أكثره.  
 وترتيب الآيات في سورها توقيفي مثل معرفة بدئها ونهايتها، والأصل في  
 تتابع الآيات في السورة أن يكون بين السابقة واللاحقة مناسبة ويدل عليها  
 وجود حروف العطف مثل الواو الفاء وبل ولكن، وبالمثل وجود أدوات  
 الاستثناء. وينبغي ألا يطلب في كل آية مناسبتها لما قبلها لأن ذلك قد يتعذر.  
 وربما كان أولى من ذلك البحث في الآية التالية عن كونها مكتملة لما قبلها أولاً  
 أو مستقلة، ثم يبحث في المستقلة عن مناسبتها للآية السابقة لها. ونضرب  
 مثلاً لذلك هو قوله تعالى في سورة البقرة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ

عَامَتُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا

أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ

إِلَّا الْفٰئِئِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> فإن مناسبة هذه الآية للآية التي قبلها والتي تبشر

المؤمنين العاملين للصلوات بما ينتظر لهم من جنات وثمار طيبة وأزواج مطهرة  
 لا تتضح، غير أننا إذا نظرنا في الآيات السابقة عرفنا أن الله قد أورد فيها  
 مثلاً هو قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾<sup>(٢)</sup> فرأى أن يتبعه بالرد على  
 من ينكرون أمثاله بالبعوض والعنكبوت وما إليهما من الحشرات الضارة. وبذلك

(١) سورة البقرة الآية ٢٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧.

تتضح المناسبة بين آية البعوض وما سبقها من آية المستوقد ناراً. والمهم أن تكون المناسبة واضحة. ومما يعين على تصورهما وفهمهما كتب أسباب النزول التي تعنى ببيانها فى نزول الآيات على الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويحسن أن نعرض لوقوف القرآن فى آياته، وهى قطع الصوت عند كلمة فى الآية للتنفس والراحة، ويعود القارئ دائماً إلى إكمالها. وهى فى الأصل توقيفية أخذت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بشهادة عبد الله بن عمر القائل: كانت تنزل السورة على محمد فتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عنده منها.

والوقف فى القرآن أقسام فمنه التام الذى يقع عند نهاية الآية ولا يتعلق بشيء مما بعدها فيوقف عنده وبيتداً بما بعده مثل قوله تعالى فى فاتحة سورة البقرة: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup>. وقد يقع التام فى أثناء الآية كما فى آية سورة النمل: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا آذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> فإن قول بلقيس فى الآية يتم عند قولها: ﴿ آذِلَّةٌ ﴾ أما ﴿ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ فتعليق من كلام الله ولذلك ينبغى الفصل بينه وبين كلام بلقيس بالوقف. وقد لا يصبح الوقف تاماً على آية إلا بوصلها بكلمة فى الآية الثانية كما فى آتى سورة الصافات: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٧٧﴾ وَيَالَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾<sup>(٤)</sup> فإن الوقف فى الآية الأولى لا يتم إلا بوصلها بكلمة ﴿ وَيَالَيْلٍ ﴾ فى الآية الثانية. ومثل ذلك آيتنا سورة الزخرف: ﴿ وَلِيُبَيِّنَ لَهُمُ أَجْرَآ وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَّكِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُخْرَفًا

(١) سورة البقرة الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ٦.

(٣) سورة النمل الآية ٣٤.

(٤) سورة الصافات الآيتان ١٣٧ ، ١٣٨.

وَإِنْ كُلُّ ذَاكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١﴾ فكلمة ﴿وَزُخْرُقًا﴾ في أول الآية الثانية تكلمة للآية الأولى، والوقف في الآية الأولى لا يتم بدونها.

ومن الوقف الحسن، وهو الذى يحسن الوقف عنده ولا يحسن الابتداء بما بعده مثل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فالوقف عند الله فى قولنا الحمد لله حسن ولا يحسن ابتداء الكلمة بـ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لأنها نعت للفظ الجلالة، ولا يجوز الفصل بين النعت والمنعوت.

ومن الوقف القبيح وهو الذى يفسد معنى الكلام مثل: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾<sup>(٣)</sup> فلا يحسن الوقف على ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا﴾ ثم يبتدئ الكلام ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ والكفر به واضح.

ومن الوقف الكافى وهو منقطع فى اللفظ موصول فى المعنى فيحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده مثل آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾<sup>(٤)</sup> ومثل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾<sup>(٥)</sup> فوصلها بالآية بعدها وهى ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(٦)</sup> أولى. والوقوف فى القرآن الكريم مدروسة من قديم، ووضعت لها رموز فى طبعات القرآن الحديثة، وتسجل علاماتها فى نهايات المصاحف تسجيلًا دقيقًا.

(١) سورة الزخرف الآيتان ٣٤ ، ٣٥.

(٢) سورة الفاتحة الآية ٢.

(٣) سورة المائدة الآية ١٧.

(٤) سورة النساء الآية ٢٣.

(٥) سورة الرحمن الآية ٢٦.

(٦) سورة الرحمن الآية ٢٧.

## فواصل الآيات

الفواصل جمع فاصلة، وهي الكلمة في آخر الآية القرآنية، وتقوم في الآية مقام القافية في نهاية البيت. وأحكمت مع الآية إحكاما إيقاعيا، بحيث تتسق نغميا مع سياق الآية، سواء منها ما جاء في الآيات بالسور الطوال والمتوسطة وما جاء في السور القصار، ولا تسمى قرينة في الفواصل المسجوعة كما جاء في السجع العادي، بل يظل لها الاسم الخاص بالقرآن وهي الفاصلة، فهي اسم لنهاية الآيات مسجوعة وغير مسجوعة.

ومن دارسى الفواصل من ارتضى إطلاق السجع والمسجوع على فواصل آيات الجزئين التاسع والعشرين والثلاثين في القرآن الكريم، ومنهم من أبى ذلك إباء شديدا قائلين إن هناك فرقا واضحا بين المسجوع في الكلام والمسجوع في القرآن، لأن السجع عند الكتاب وفي الكلام يقصد لذاته ثم يتبعه المعنى، أما في القرآن الكريم فالمقصود أولا المعنى ثم يتبعه اللفظ. وقد أرادوا بذلك قاصدين ألا يسمى المسجوع في القرآن سجعا، حتى لا يختلط بسجع الكهان في الجاهلية وقد ذمه الرسول حين نطق شخص بكلام مسجوع أمامه - إذ قال له: "أَسْجَعُ كسجع الجاهلية!" منكرا له.

ويمكن أن نوفق بين الرأيين، فنقول إن الفواصل منها مسجوع ومنها غير المسجوع كما يتضح في فواصل ماعدا الجزئين التاسع والعشرين والثلاثين في القرآن الكريم. وقسم علماء البديع الفواصل المسجوعة خمسة أقسام: مطرف وفيه تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقان في حروف السجع كما في قوله تعالى بسورة نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾<sup>(١)</sup>

(١) سورة نوح الآيتان ١٣ ، ١٤ .

ومنه متواز وفيه تتفق الفاصلتان فى الوزن والحرف النهائى كقوله تعالى فى سورة الغاشية فى وصف الجنة ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ ﴾<sup>(١)</sup> ومنه متوازن وهو أن تتفق الفاصلتان فى الوزن دون الحرف النهائى كما فى نفس السورة: ﴿ وَتَمَارِقٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْتُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ ومرصع وهو أن تتفق الفاصلتان وآيتاهما فى الوزن كما فى آيتى الانفطار ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾<sup>(٢)</sup>. ومنه متماثل وهو أن تتفق الفاصلتان وآيتاهما فى الوزن كما فى سورة الطور فقد بدأت بفواصل مسجوعة، ثم قال تعالى: ﴿ وَالسَّغْبِ الْمَرْفُوعِ ﴿١٤﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿١٥﴾ ﴾<sup>(٣)</sup> والفاصلة الثانية منتهية بالراء مثل الفواصل الأولى فى السورة واختلف الحرف الأخير فى فاصلة ﴿ وَالسَّغْبِ الْمَرْفُوعِ ﴾ بينما تتحد كلماتها فى الوزن مع كلمتى الفاصلة التالية. ومن بديع الفواصل المسجوعة ما التزم فيها حرف قبل نهايتها فى الفاصلتين المسجوعتين مثل آيتى سورة التكويد: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُيَّاتِ ﴿١٥﴾ وَالْجَوَارِ الْكُنُيَّاتِ ﴿١٦﴾ ﴾<sup>(٤)</sup> فقد التزم فيها ذكر نون مشددة، ومثلها آيتا سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ ﴾<sup>(٥)</sup> فقد التزمت هاء قبل نهاية الفاصلتين المسجوعتين. وقد يلتزم حرفان كما فى آيتى سورة القلم: ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ ﴾<sup>(٦)</sup>. وقالوا: أحسن الفواصل المسجوعة ما تكون قصيرة مثل فواصل سورة المدثر: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُدَّثِرُ ﴿١﴾ فُمْ قَأْنِذِرُ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِيرُ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَّهَّرُ ﴿٤﴾ ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) سورة الغاشية الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة الغاشية الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٣) سورة الانفطار الآيتان ١٣ ، ١٤ .

(٤) سورة الطور الآيتان ٥ ، ٦ .

(٥) سورة التكويد الآيتان ١٥ ، ١٦ .

(٦) سورة الضحى الآيتان ٩ ، ١٠ .

(٧) سورة القلم الآيتان ٢ ، ٣ .

﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿١﴾. وكانوا يستحسنون في آية الفاصلة المسجوعة الثانية أن تكون أطول من الآية السابقة مثل: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ ﴿٥﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٦﴾ كما استحسنوا أن تكون آية الفاصلة الثالثة أطول من آيتي الفاصلتين المسجوعتين السابقتين كما في آيات سورة الحاقة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٢٢﴾.

وقال ابن أبي الإصبع لا تخرج فواصل الآيات المرسلة في ثمان وعشرين جزءاً من القرآن عن أربعة صور هي التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال، والتمكين أن تكون متمكنة في مكانها مستقرة في موضعها، ويمكن أن يقال إن جميع الفواصل في القرآن تتصف بذلك إذ تحلّ في نهاية الآية غير نافرة ولا قلقة. والتصدير أن يتقدم الفاصلة كلمة من مادتها تؤذن بها مثل آية سورة آل عمران: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ أَرْؤُومٌ﴾ ﴿٤﴾ وآية سورة الأنعام: ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٥﴾. والتوشيح أن يكون في أول الكلام ما يستلزم الفاصلة مثل آية سورة يس: ﴿وَءَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ اللَّيْلَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ ﴿٦﴾ فإن من يلاحظ ما جاء قبل الفاصلة من انسلاخ النهار من الليل يتوقع أن تكون الفاصلة: ﴿مُظْلِمُونَ﴾ إذ دل بوضوح ما سبق الفاصلة عليها دلالة واضحة. والإيغال وهو ختم الآية بما يدل على المعنى بدون الفاصلة

(١) سورة الدثر الآيات ١ ، ٥ .

(٢) سورة النجم الآيتان ١ ، ٢ .

(٣) سورة الحاقة الآيات ٣٠ ، ٣٢ .

(٤) سورة آل عمران الآية ٨ .

(٥) سورة الأنعام الآية ١٠ .

(٦) سورة يس الآية ٣٧ .

مثل: ﴿اتَّبِعُوا الْمُؤْتَسِلِينَ﴾ (٢) أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿١﴾ والمعنى يتم في الآية قبل الفاصلة: ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إذ المرسلون مهتدون لا شك، غير أن فيه زيادة في المعنى، وهى الحث على اتباع الرسل. ومن ذلك فاصلة آية سورة النمل: ﴿وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (٣) فإن الفاصلة ﴿مُدْبِرِينَ﴾ زائدة على معنى الكلمة السابقة لها: ﴿وَلَّوْا﴾ مبالغة في عدم انتفاعهم بالدعاء .

وعنى بعض الأسلاف من المفسرين والبلاغيين ببيان المناسبة بين الفاصلة فى الآية والمعنى أو المعانى السابقة، كما فى آية سورة الأنعام: ﴿لَا تُذْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٤) فإن كلمة اللطيف تناسب أول الآية وهو عدم إدراك الناس لربهم وكلمة الخبير تناسب إدراك الله للأبصار. وبالمثل آية سورة هود: ﴿قَالُوا يَنْشَعِيبُ أَصْلَوْكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَذْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤَنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشْتَوُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٥) فإن ذكر العبادة فى الآية يناسب الحلم وذكر التصرف فى الأموال يناسبه الرشد. ومثل ذلك آية سورة الإسراء: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٦). وقد لا يكون واضحاً أن يذكر فى الفاصلة الحلم والمغفرة عقب تسابيح الأشياء . وتعددت الآراء فى المناسبة، فقول إن الأشياء كلها تسبح برّبها ولا يعصيه منها شىء بينما أنتم تعصون، لذلك ختمها الله بالحلم والمغفرة، كما جاء فى الحديث النبوى: (لولا بهائم رُتِعَ وشيوخ رُكِعَ، وأطفال رُضِعَ لُصِبَ عليكم العذاب صَباً)، وقيل

(١) سورة يس الآيتان ٢٠ ، ٢١ .

(٢) سورة النمل الآية ٨٠ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٠٣ .

(٤) سورة هود الآية ٨٧ .

(٥) سورة الإسراء الآية ٤٤ .

بل التقدير فى الآفة : حللما عن تفرفط المسفحفن عفورا لذنوبهم؁ وقفل : حللما عن المخاطبلن الذفن لا يفقهون تسبلحهم بأهمالهم النظر فى آفات الله الكونفة ومعرفة حقه.

وقد يقارنون بلن فواصل ثلاث آفات متوالفة لىوضحا السبب فى اختلافها فمن ذلك الفواصل فى أرقام : ٩٧؁ ٩٨؁ ٩٩ فى سورة الأنعام؁ فقد ذكرت الأولى نعمة النجوم والاهتداء بها لىلا مما يقتضى شئنا من العلم فناسبها الختم بالعلم ومعرفته؁ وأشارت الثانية إلى خلق الإنسان وأطواره فى الرحم وعلى وجه الأرض وموته مما يدعو إلى تفكيره فى ذلك وفى خالقه؁ فناسب ذلك الفقه والتدقق فى فهم الأشياء؁ وذكرت الثالثة نعم الله بالزرع المختلفة للإنسان مما فوجب حمده والاعتراف بألوهفته؁ ولذلك ختمت بفاصلة الإيمان بالله ووحدانفته.

وعلى شاكلة هذه الآفات الثلاث فى نفس السورة الآفات ذوات الأرقام ١٥١؁ ١٥٢؁ ١٥٣ . آفات ﴿ قُلْ تَعَالَوْا ﴾ والآفان بعدها والآفة الأولى تحرم الشرك وقتل الأولاد من الفقر واركاب الفواحش وقتل الناس غضبا فناسبتها الفاصلة : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وكانما الذفن فأتون هذه المحرمات قد فقدوا عقولهم - والآفة الثانية تأمر وصى اللففم أن فصون له ماله وألا ففصرف ففه إلا بما فنفعه وفوصى الناس أن فسوفوا الكفل والمفزان بالعدل دون ظلم للباع أو المشترى؁ وإذا قالوا شهادة أو ففر شهادة فلفكن رائدهم العدل ولو كان المشهود له قرفبا لهم وناسبت كل هذه الوصافا فاصلتها : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . وفقول الله فى الآفة الثالثة إن ما ففر فى الآفة الأولى وما أوصى به فى الآفة الثانية فرفقه المسفقم فاسلكوه". ولذلك فاسب أن فكون فاصلة هذه الآفة : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ عقاب الله وعذابه إن فمسكتم بوصافاه ونوافه الففنفة.

واتسع البلاغيون والمفسرون في دراسة اختلاف الفاصلتين مع ما قبلهما في آيتيهما ومحاولة معرفة المناسبة التي جعلتهما تختلفان مع اتحاد ما قبلهما في الألفاظ والمعاني، من ذلك ما جاء في سورة النساء من قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾<sup>(١)</sup> فقد تكرر في نفس السورة بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ وتلته فاصلة ثانية مختلفة هي: ﴿ضَلَّ سَلْطَنًا لَّبِيعًا﴾<sup>(٢)</sup> والسبب في ذلك أن الآية الأولى نزلت في اليهود الذين افتروا على الله ما ليس في كتاب موسى وكتابه: التوراة، ولذلك ناسبتها فاصلتها أدق وأحكم مناسبة لأنهم يرتكبون ويفترون إثما عظيما. أما الآية الثانية فنزلت في المشركين وضلالهم أشد من ضلال اليهود، ولذلك ناسبتها فاصلتها أدق وأحكم مناسبة. ومثل ذلك ثلاث فواصل توالى في آيات المائدة ذوات الأرقام ٤٤، ٤٥، ٤٧: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ و ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ و ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ﴾ والفواصل الثلاث قبلها جميعا: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾. غير أن من يرجع إلى الآيات الثلاث يجد الأولى فيمن جحد ما أنزله الله من التوراة، كما يجد الثانية فيمن خالف حكما من أحكام الله، ويجد الثالثة فيمن جهل ما أنزل الله من أصل الإنجيل. ومثل ذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله في سورة النحل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>. وآية سورة إبراهيم كانت في سياق وصف الإنسان وما أسبغ الله

(١) سورة النساء الآية ٤٨.

(٢) سورة النساء الآية ١١٦.

(٣) سورة إبراهيم الآية ٣٤.

(٤) سورة النحل الآية ١٨.

عليه من النعم، فقال الله إنه يكفرها ولا يشكرها، ففاصلتها واقعة في موضعها بمنتهى الدقة. أما الآية الثانية فكانت في سياق وصف الله وإثبات ألوهيته، ولذلك ختمت بفاصلة تحمل صفتين عظيمتين من صفاته التي تتصل بالإنسان وهما غفرانه لذنوبه ورحمته. ومن ذلك آيتا سورتي فصلت والجاثية، ففيهما جميعا: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾<sup>(١)</sup> والفاصلة التالية لذلك في سورة فصلت: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ - والله يقول في سورة فصلت إن من عمل عملا صالحا فله نفعه ومن أساء فيه فعلى نفسه ضرره ثم يختم الآية بقوله ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أى أنه عادل فى ذلك عدلا مطلقا. وواضح أن الفاصلة مناسبة لما قبلها مناسبة دقيقة. وآية سورة الجاثية ذكرت بعد آية تتقدم آيتها، وهى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> أى أيام البعث فهم ينكرونه، ولذلك وجه الله الخطاب فى الآية إليهم قائلًا فى ختامها أو فى فاصلتها: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup> أى للحساب والجزاء خيرا أو شرا. وهى بذلك مناسبة لموضعها فى الآية مناسبة محكمة لما تقدمها من جحود البعث وإنكاره.

وقد تخفى المناسبة بين الفاصلة وما قبلها فى بعض الآيات، ولكن بمعاودة التفكير فيها وفيما قبلها تتضح المناسبة، فمن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فإن المتبادر إلى الذهن فى فاصلة هذه الآية ألا تكون ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، وإنما تكون: وهو على كل شيء قدير، إذ هى التى تناسب

(١) سورة فصلت الآية ٤٦.

(٢) سورة الجاثية الآية ١٤.

(٣) سورة الجاثية الآية ١٥.

ما ذكر في الآية من خلق الله للناس كل ما فى الأرض جميعا وخلق العظيمة لسبع سماوات. وهو ما يبدو فى الظاهر ولكن بالتأمل نعرف أن القدرة تكون نتيجة للعلم، ولذلك عبرت الآية به مع ملاحظة أن الله خلق الأرض وما فيها مما يحتاجه الناس وينفعهم لعلمه به، وخلق السموات مستوية لعلمه السابق بكل ذلك مما يجعل العلم الإلهى فاصلة سديدة للآية .

ومن ذلك آية سورة آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَوْنَ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> فقد ختمت الآية بفاصلة مشتقة من القدرة الإلهية. وقد يتبادر إلى الذهن أنه أولى بالفاصلة فى الآية أن تشتق من العلم الإلهى السابق لها مباشرة وأن تكون: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup> غير أن من يرجع إلى سياق الآية يرى أنها جاءت فى سياق نهى المؤمنين عن موالة الكفار ووعيدهم بالعذاب إن هم والوهم، ولذلك كانت الفاصلة المناسبة لها أن تشتق من القدرة الإلهية التى تجزى بالعقاب والثواب، ليزدجر المؤمنون وينتهوا عن موالة الكفار. وفى إجابة عيسى الرسول لربه بآخر سورة المائدة عن سؤال الله له: ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٣)</sup> والآية تنتهى كما هو واضح بفاصلة يظن أنها لا تتناسب مع ما قبلها من قوله تعالى: ﴿وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ﴾ وكان المظنون أن تختم الآية بمثل: فإنك أنت الغفور الرحيم، وإذ ذكر عيسى مغفرة الله قبل الفاصلة مباشرة، ومناسبة رحمة الله مع الغفران للذنوب، واضحة. غير أن من يدقق فى وصف الله

(١) سورة آل عمران الآية ٢٩.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٨.

بالحكمة التي تجعله يتصرف بالحكمة لمستحقى العذاب فيغفر لهم، يتقبل هذا الوصف لله في الآية إذ يراه احتراسا من أن يظن أن هذا الغفران ليس من حكمته، والفاصلة - بذلك - مناسبة لما قبلها مناسبة دقيقة. ويجب بمثل ذلك في الآيات المماثلة لنفس الآية واختتامها بمثلها في وصف الله بها لحكمة كما جاء في سورة المتحنة: ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبِّتَّ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>. ومعنى ذلك أن مناسبة الفواصل القرآنية بما قبلها في الآيات دائما محكمة وملتحمة بها التحاما وثيقا.

---

(١) سورة المتحنة الآية ٥.